وعنه نشأ مذهب المجوس القائلين بالاصلين النور والظلمة ومذهب الصابئة وغيرهم القائلين بقدم العالم ومذاهب كثير من مجوس هذه الامة وغيرهم ومذاهب كثير ممن عطل الشرائع فان القوم تنازعوا في علة فعل الله سبحانه وتعالى لما فعله فارادوا ان يثبتوا شيئا يستقيم لهم به تعليل فعله بمقتضى قياسه على المخلوقات فوقعوا في غاية الضلال اما بانه فعل ما زال لازما له واما بان الفاعل اثنان واما بانه فعل البعض والخلق فعل البعض واما بان ما فعله لم يأمر بخلافه وما امر به لم يقدر خلافه وذلك حين عارضوا بين فعله وامره حتى اقر فريق بالقدر وكذبوا بالامر واقر فريق بالامر وكذبوا بالقدر حين اعتقدوا جميعا ان اجتماعهما محال وكل منهما مبطل بالتكذيب بما صدق به الاخر واكثر ما يكون ذلك لوقوع المنازعة في الشيء قبل احكامه وجمع حواشيه واطرافه ولهذا قال ما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه الى عالمه والغرض بذكر هذه الاحاديث التنبيه من الحديث على مثل ما في القران من قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا ومن ذلك ما روى الزهري عن سنان ابن ابي سنان الدولي عن ابي واقد الليثي انه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم يقال لها ذات انواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر انها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم وقد قدمت ما خرجاه في الصحيح عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وما رواه البخاري عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لتاخذن امتي ماخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قالوا فارس والروم قال فمن الناس الا اولئك وهذا كله خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك والذم لمن يفعله كما كان يخبر عما يفعله الناس بين يدي الساعة من الاشراط والامور المحرمات فعلم ان مشابهتها لليهود والنصارى وفارس والروم مما ذمه الله ورسوله وهو المطلوب ولا يقال فاذا كان الكتاب والسنة قد دلا على وقوع ذلك فما فائدة النهي عنه لان الكتاب والسنة ايضا دلا على انه لا يزال في هذه الامة طائفة متمسكة بالحق الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة وانها لا تجتمع على ضلالة ففي النهي عن ذلك تكثير هذه الطائفة المنصورة وتثبيتها وزيادة ايمانها فنسال الله المجيب ان يجعلنا منها وايضا لو فرض ان الناس لا يترك احد منهم هذه

المشابهة

رواه ... والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح ولفظه ...

٨١

المشابهة المنكرة لكان في العلم بها معرفة القبيح والايمان بذلك فان نفس العلم والايمان بما كرهه الله خير وان لم يعمل به بل فائدة العلم والايمان اعظم من فائدة مجرد العمل الذي لم يقترن به علم فان الانسان اذا عرف المعروف وانكر المنكر كان خيرا من ان يكون ميت القلب لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان رواه مسلم وفي لفظ ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وانكار القلب هو الايمان بان هذا منكر وكراهته لذلك فاذا حصل هذا كان في القلب ايمان واذا فقد من القلب معرفة هذا المعروف وانكار هذا المنكر ارتفع هذا الايمان من القلب وايضا فقد يستغفر الرجل من الذنب مع اصراره عليه او ياتي بحسنات تمحوه او تمحو بعضه وقد يقلل منه وقد تضعف همته في طلبه اذا علم انه منكر ... ثم اذا علمنا ان الناس لا يتركون المنكر ولا يعرفون بانه منكر لم يكن ذلك مانعا من ابلاغ الرسالة وبيان العلم بل ذلك لا يسقط وجوب الابلاغ ولا وجوب الامر والنهي في احدى الروايتين عن احمد وقول كثير من اهل العلم على ان هذا ليس موضع استقصاء ذلك ولله الحمد على ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من انه لا تزال من امته طائفة ظاهرة على الحق حتى ياتي امر الله فليس هذا الكلام من خصائص هذه المسالة بل هو وارد في كل منكر قد اخبر الصادق بوقوعه ومما يدل من القران على النهي عن مشابهة الكفار قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم قال قتادة وغيره كانت اليهود تقوله استهزاء فكره الله للمؤمنين ان يقولوا مثل قولهم وقال ايضا كانت اليهود تقول للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا سمعك يستهزؤن بذلك فكانت في اليهود قبيحة وروى احمد عن عطية قال كان ياتي ناس من اليهود فيقولون راعنا سمعك حتى قالها ناس من المسلمين فكره الله لهم ما قالت اليهود وقال عطاء كانت لغة في الانصار في الجاهلية وقال ابو العالية ان مشركي العرب كانوا اذا حدث بعضهم بعضا يقول لصاحبه ارعني سمعك فنهوا عن ذلك وكذلك قال الضحاك فهذا كله يبين ان هذه الكلمة نهي المسلمون عن قولها لان اليهود كانوا يقولونها وان كانت من اليهود قبيحة ومن المسلمين لم تكن قبيحة لما كان في مشابهتهم فيها من مشابهة الكفار وتطريقهم الى بلوغ غرضهم وقال سبحانه ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم

Copyright © King Saud University